مفهوم الفضيلة عند أرسطو

د. مفتاح سليمان محمد أبوشحمة
كلية الآداب / جامعة مصراتة / دولة ليبيا
Mo.abushma@art.misuratau.edu.ly

استلمت الورقة بتاريخ 2021/03/22
وقبلت بتاريخ 2021/04/15
ونشرت بتاريخ 2021/04/16
الكلمات المفتاحية: أرسطو ـ الفضيلة ـ الأخلاقية ـ العقلية .

الملخص

شرع أرسطو في تحليل الطبيعة البشرية وذلك من أجل الوقوف على طبيعة الفضيلة فيها، ومن تم تحديد أنواعها ومراتبها، ومدى علاقتها بالسعادة التي هي الخير الإنساني، وذلك كما هو واضح في أهداف البحث التي من خلالها ندرك أن الإنسان الذي يقصده أرسطو ليس كائناً عاقلاً فقط؛ بل هو كذلك كائن اجتماعي يحتوي في داخله على كم هائل من الانفعالات والشهوات التي هي جزء عضوي في طبيعته البشرية، الشيء الذي جعل من الفضائل الأرسطية تنقسم إلي نوعين: نوع يتعلق بالإنسان كإنسان له انفعالات وشهوات، وهو ما يُعرف بالفضائل الأخلاقية المتولدة عن العادة. والنوع الثاني: يتعلق بالإنسان بكونه عاقلاً وهو ما يعرف بالفضائل العقلية الناتجة عن لتعليم. والسعادة بصفة عامة تجتمع في هذين النوعين من الفضائل لتصبح استعداد طبيعي أو مكتسب يهدف للقيام بالأفعال المطابقة للخير، وذلك وفق سلوك الإنسان وأفعاله التي بها يتحاشى الوقوع في التطرف ومن تم إيجاد الحد الأوسط بين طرفين (الإفراط والتفريط) اللذان كلهما رذيلة. وهذا في مجمله باين في النسق التحليلي الذي وضعه أرسطو للفضائل الكبرى بنوعيها: الأخلاقية والعقلية. وللوصول إلي تحقيق هذه الأهداف المرجوة من البحث، كان من الضروري أن نضع فرضية نستطيع من خلالها: معرفة بيان ما إذا كان مفهوم السعادة عند أرسطو قائم على نوع واحد من الفضائل (الأخلاقية أو العقلية) ؟. إن أهم النتائج الظاهرة من هذا البحث تتمثل في كون مفهوم الفضيلة في عمومه عند أرسطو، لا يمكن أن يوجد إلا باجتماع للفضائل الأخلاقية والفضائل العقلية، أي اجتماع عقل وشهوة، حيث إنه يجب إخضاع الشهوة لحكم العقل، وذلك لكي تتحقق الاعتدال الذي هو في مضمونه يُعبر عن السعادة .

المقدمة

إن الإنسان عند أرسطو كائن اجتماعي، عقلاني يتطلع للحياة السعيدة، ولا يتم له ذلك إلا من خلال إتباعه نظاماً أو قواعد تعليمية ذات طابع تربوي تمكنه من بناء شخصيته وفق مهارات معينة، يستطيع بها اتخاذ القرارات الصحيحة أو المناسبة لممارسة الفضيلة، تلك التي تكون حيث تؤدي قوى هذا الإنسان وظيفتها.

ولما كان الإنسان الأرسطي يجمع بين الشهوة والعقل، أصبحت ممارسة الفضيلة عنده مرهونة في نوعين اثنين من الفضائل يتمثل الأول: في الفضائل الأخلاقية المتولدة عن العادة والتي يتطلب واجبها السيطرة على الشهوات والأهواء بواسطة العقل. والنوع الثاني: في الفضائل العقلية الناتجة عن التعليم الذي إليه يسند أصلها ونموها، والتي تتمثل فيها حياة التأمل في أسمى صورها. والسعادة بصفة عامة تجمع بين هذين النوعين من الفضائل لتصبح استعداد طبيعي أو مُكتسب يهدف للقيام بالأفعال المطابقة للخير، وذلك وفق سلوك الإنسان وأفعاله التي بها يتحاشى الوقوع في التطرف ومن تم إيجاد الحد الأوسط بين طرفين (الإفراط والتفريط) اللذان كلهما رذيلة. وهذا في مجمله باين في النسق التحليلي الذي وضعه أرسطو للفضائل الكبرى بنوعيها: الأخلاقية والعقلية، مثل فضيلة الشجاعة، والعفة، والكرم، والصداقة، والعدالة.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول تحديد مضمون التساؤلات التالية:

1- ما مدى أهمية دراسة مفهوم الفضيلة في حياة الإنسان بحسب فلسفة أرسطو؟

2- هل تُعدّ الفضائل الأرسطية ذات بعد أخلاقي وتأملي عقلي يُضفي إلي سعادة حقيقية يعيشها الإنسان؟

أهمية البحث:

تتضح أهمية هذا البحث في كون الفضيلة عند أرسطو تمثل أهمية بالغة لحياة الإنسان، إذ أنه من خلال ممارسته للفضائل الأخلاقية بحكم العادة، وبالصورة الصحيحة التي يقُرّها العقل دون إفراط أو تفريط، يحقق أقصى درجات الحياة الاجتماعية التي يصبو إليها، كما إنه عند ممارسته للفضائل العقلية الناتجة عن التعليم يصل إلي حياة التأمل والسعادة المطلقة.

أهداف البحث:

1- بيان حقيقة الفضائل الأخلاقية المتولدة بحكم العادة وكيفية سيطرت العقل عليها عن طريق إيجاد الحد الأوسط بين الإفراط والتفريط.

2- فهم جوهر الفضائل العقلية الناتجة عن التعليم بكونها الموصلة إلي حياة التأمل التي هي السعادة القصوى.

فرضية البحث:

تتمحور فرضية هذا البحث في بيان ما إذا كان مفهوم السعادة عند أرسطو قائم على نوع واحد من الفضائل: الأخلاقية المتولدة عن العادة بحكم مبدأ الشهوة، أو الفضائل العقلية الناتجة عن التعليم وفق معطيات العقل؟.. ومن تم كيف إذن، تؤدي قوى الإنسان وظيفتها من أجل الظفر بالسعادة التي هي الخير؟.

منهجية البحث:

تقوم منهجية البحث على إتباع المنهج السردي التاريخي في العرض، والمنهج التحليل في المعالجة، والمنهج المقارن في المفاضلة.

الدراسات السابقة:

تندرج الدراسات السابقة في العديد من المراجع والمؤلفات منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب: اندريه كرسون (ب ت)، المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، وكتاب: أمين أحمد (1967)، فلسفة الأخلاق، وكتاب: مطر أميرة حلمي، (1974)، الفلسفة اليونانية، وكتاب: ستيس وولتر، (1984) تاريخ الفلسفة اليونانية.. وغيرها من المراجع والمؤلفات التي تناولت مفهوم الفضيلة عند أرسطو بشكل عام من ضمن فلسفة الأخلاق اليونانية، أو في إطار فلسفة الأخلاق، دون بحثها ودراستها من حيث علاقة الفضائل الأخلاقية بالفضائل العقلية؛ وكذا تصنيفها إلي فضائل كبرى عند أرسطو. الشيء الذي حتم علينا أن نقوم بهذا البحث عله يضيف لبنة إلي تلك الدراسات السابقة.

تقسيمات البحث:

ينقسم هذا البحث إلي مقدمة عامة، وثلاثة مباحث رئيسية وخاتمة موزعة كالتالي:

أولاً/ الفضائل الأخلاقية:

تُعدّ الفضائل الأخلاقية عند أرسطو[1] نتاج مرهون بالتربية والتعود والمراس، إذ أنها لا تحدث بالطبع أو الفطرة اللذان لا يحث فيهما التغيير، وإنما تغرس في النفوس بحكم العادة، وذلك كأن يصبح البنّاء بناء بمجرد

[1] ولد أرسطو طاليس سنة (384 ق . م) في مدينة " أسطاغيرا " ، مستعمرة يونانية وميناء على الشاطي الشرقي من ساحل تراقيا ، كان أبوه " نيقوماخوس " من جماعة الاستقلابيين التي كانت تُعرف آنذاك بنقابة الأطباء في بلاد اليونان ، والتي يرتقي نسبها إلي اله الطب ، مما أهله ليكون طبيباً خاصاً لبلاط الملك " أمينتاس الثتني " جد الاسكندر المقدوني ،

ممارسة عادة البناء، وكذا يصبح الصياد صياداً في حال ممارسة مهنة الصيد، كما أن الشيء الطبيعي لا يمكن أن يتحول بالعادة إلي نقيضه، فخروج النبات من الأرض وفق قانون الإنبات، لا يمكن تغيير مساره عن طريق العادة إلي أعلى.

"إن الفضيلة الأخلاقية تأتي كنتيجة للعادة، لذلك فأن أسمها أيضاً خلق ناتج عن انحراف بسيط من كلمة العادة. من ذلك يتضح أيضاً أننا لا نجد أياً من الفضائل الأخلاقية تتكون فينا طبيعياً".*(طاليس، 1998، ك2، ف1، ص67)*

كما يرى أرسطو بأن العادة والممارسة وحدها لا تصلح لاكتساب هذا النوع من الفضائل؛ إذ أنه يجب على الإنسان أن يمتلك قدرات وإمكانات خاصة تؤهله لاكتساب هذا النوع من الفضائل، فالرؤيا مثلاً تكون أولاً بالقوة ثم تصبح بالفعل قبل ممارستنا لها. بينما يختلف الحال في الفنون والصناعات التي هي من الفضائل الخلقية، لأن الإنسان يكتسب فضيلة ما أو حدقاً بفن ما بفعل الممارسة. فالعادة العملية شرط أساسي وجوهري لتكوين وتحقيق الفضيلة. *(فخري، 1999، ص108)*

كذلك الحال لا يصير الإنسان عادلاً عند أرسطو إلا إذا مارس واعتاد على السلوك العادل. بكون العادة العملية عنده شيء أساسي لتكوين وتحقيق الفضيلة في النفس المملؤة بالعواطف المتمثلة في الغضب والخوف والفرح والكراهية وكل ماله صلة باللذة والألم، والمملؤة كذلك بالملكات أو القوى التي عن طريقها يغضب هذا الإنسان ويفرح ويشعر بكل العواطف المختلفة، وحالة الشخصية التي يتصف هذا الإنسان عن طريقها بالخير أو بالشر، وذلك أثناء علاقته بالعواطف.

"بعد ذلك يجب أن نتناول ما هي الفضيلة؟ نظراً لأن الأشياء التي توجد في النفس ذات ثلاثة أنواع: العواطف، الملكات، أحوال الهيئة، فالفضيلة يجب أن تكون أحدى هذه الأنواع".*(طاليس، 1998، ك2، ف5، ص74)*

إذن، فالفضيلة عند أرسطو مرتبطة أشد الارتباط بحالات الشخصية (أحوال الهيئة)، التي هي وحدها تعبر عن الاختيار أثناء علاقتها بالفضيلة، الشيء الذي به تصبح سلوكاً اختيارياً يصدر عن الشخصية، أي أنها تكون فعلاً إراديا يصدر عن النفس بعد الرؤية والمشورة المسبقة الصادرة عن مبدأ عقلي.

"إذن إذا لم تكن الفضائل عواطف ولا ملكات فإن ما تبقى هو أن تكون أحوال الهيئة".*(طاليس، 1998، ك2، ف5، ص75)*

كما إنه يجب أن نعرف بأنه إذا غلب على العقل انفعال عنيف لم يكن الفعل بموجبه اختيارياً، كفعل الغضب أو فورة الدم، بل هو إرادي فحسب، يصبح الاختيار الذي ينشده أرسطو ليس شهوة من الشهوات على أساس أن الرجل الفاسق ينقاد لشهواته دون أن يختار، بينما ذاك المتعفف يفعل باختيار دون تدخل وتأثير لشهواته. كما أن الاختيار ليس تمنياً، إذ أنه لا تربطه بالمستحيلات صلة، فالإنسان يختار وينتقي ما يستطيع تحقيقه وفعله، وهذا كله بخلاف ما هو مستحيل التحقيق لديه. وأيضاً ليس الاختيار ضرباً من الرأي، بكون الآراء تمت بصلة إلي جميع الأشياء الممكن منها والمستحيل، والأزلي منها والزمني، ومن تم فهي قابلة للصدق وقابلة للكذب، وبهذا تكون الاختيار الذي ينشده أرسطو منحصراً في الممكنات فقط.

والحال نفسه نجده في الاختيار والتقدير، حيث ربط أرسطو بينهما، وذلك على أساس أن موضوعهما واحد وأن كان التقدير يسبق الاختيار. أي أن الاختيار هو نهاية المشوار للتقدير الذي لا يقع على الأمور الضرورية التي لا يتغير حالها أبداً، أو اتي لا تستقر على حال، وإنما يحدث ـ أي التقدير ـ فيما هم في استطاعة المرء فعله من أشياء قابلة للتحقيق، بمعنى أن التقدير يحدث في الوسائل دون الغايات التي هي للتمني والنزوع فقط، والتي ترتبط معرفتها بالفعل النظري وحده، وذلك على اعتبارها ثابتة لا تتغير. فنحن كما يقول أرسطو: "لا نتدبر حول الأهداف، بل حول الوسائل". *(طاليس، 1998، ك3، ف3، ص95)*

وعلى أية حال، نفهم بأن مفهوم الفضيلة عند أرسطو يدور حول كونها فضيلة خلقية، لا معارف نظرية. ومن تم يجب عنده رفض قول السابقين له ..(أن لا أحد شريراً إراديا، ولا أحد سعيداً لا إرادياً)*. فهو يرى أن هذا القول يحتوي جزئياً على الصواب والخطأ.(أن لا أحد سعيداً إرادياً) عبارة صحيحة لأن السعادة تطلب عن عمد

أما أمه فكانت من " خليقس " التي هي في ضواحي يوبيا ، أنظر : (ستيس ، 1984 ، ص 209) + (بدوي ، 1980 ، ص 99) .

وقصد وذلك عن طريق وسائلها الخاصة بها، ولا تدرك إلا بالعمل العقلي المنظم، إذن فهي تتم إرادياً؛ غير أنه ـأرسطوـ يرفض الجزء الأول الذي ينص على أن (أحد شريراً إرادياً)، فالشر بحسب المنظور الأرسطي يجب أن يكون فعل إرادي اختياري، حيث أنه قد نكون على يقين من سوء الفعل ونختاره مع هذا لكونه مثل الخير.

"فالقول أن لا أحد إرادياً شرير، ولا أحد إرادياً سعيد يبدوا كاذباً من ناحية وصادقاً من ناحية؛ ولذلك لا أحد يكون لا إرادياً سعيداً، ولكن الشر يكون إرادياً". *(طاليس، 1998، ك3، ف5، ص97)*

إذن، هكذا هي حرية الإرادة التي قال بها أرسطو والتي يظهر فيها سمو العقل، إنها غير التساوي المطلق بين جهتي الاختيار، حيث عندما تنطلق الحكمة العملية بتبرير عمل أو بالكف عنه فإنه سيكون شقياً أو مجنوناً من يعصي وحيها؛ فهو بهذا يكون مستسلماً لشهواته ورغباته، بعكس ذاك الحكيم الذي يستشف من بين الحلول الممكنة ما هو أفضلها وأشملها على أعظم الخيرات وأنفعها.

والآن إذا تسألنا بأي مسلك وطريقة قام أرسطو بدراسة وتحليل سائر الفضائل؟ لوجدنا موقفه واضحاً من الإفراط والتفريط (الزيادة والنقصان) اللذان هما عنده يُعدان رذيلة، فمن طبيعة الأشياء أن تدمر بالزيادة أو النقصان؛ ومن تم يجب أن تكون الفضيلة نقطة متوسطة بينهما، أي أنها تمثل الوسط الذهبي بين رذيلتين Virtue is the golden mean between two vices وهذا الوسط أما أن يكون وسطاً بالنسبة للأشياء ومن تم فهو ثابت، وأما أن يكون وسطاً بالنسبة لنا ويكون قابل للتغير، وهذا هو ما يعنينا من الناحية الخلقية والعملية رغم صعوبة تحديده، حيث إنه وجب على الإنسان الحذق والملتزم، والقادر على تجاوز الإفراط والتفريط واختيار الوسط بينهما؛ كأن يختار القيام بالتمرينات الرياضية دون إفراط ولا تفريط ـدون إهمال أو تقصيرـ كذلك كأن يختار أيضاً القدر المناسب من الأكل والشرب ـ أي دون إكثار أو التقليل ـ حتى يحافظ على صحته.*(فخري، 1999، ص111)*

"لقد وضّحنا إذن أن الفضيلة الأخلاقية تكمن في الوسط، وبأي معنى تكون كذلك، وأنها وسط بين رذيلتين، أحداهما إفراط، والأخرى تفريط". *(طاليس، 1998، ك2، فـ9، ص82)*

إذن، بهذا التصور يتبلور الوسط الذهبي لأرسطو، باعتبار أن الفضيلة وسطاً بين طرفين كلاهما رذيلة كما سبق وأن عرفنا، إلا أننا هنا نجد أنفسنا أمام سؤال لا مناص من الإجابة عليه مفاده: ما نوعية المعيار الذي يستخدمه أرسطو في معرفة وتحديد الوسط الصحيح للفضائل؟.

وللإجابة عن هذا السؤال نقول: ليست المسألة أن نرسم خطاً مستقيماً من مكان لآخر، ومن تم نجد النقطة المتوسطة بينهما.. إن أرسطو يرفض أن يضع قاعدة ثابتة لتحديد هذا الوسط، فكل شيء عنده يتوقف على الظروف وعلى الشخص نفسه، وذلك على أساس أن الوسط السليم في حالة ما هو وسط غير سليم في حالة أخرى، فما هو كرم عند فقير يُعدّ بُخلاً عند ثري، الشيء الذي بموجبه يتوجب على الفرد الأرسطي أن يكون ذا حس مميز، يستطيع من خلاله معرفة الوسط الصحيح .. إنه: (البصيرة) التي هي علة ومعلول الفضيلة معاً.. فهي تعبر عن علة الفضيلة لأن من لديه البصيرة يعرف ما يجب أن يفعل، وتعتبر معلول الفضيلة لأنها لا تتطور إلا بالمحاولة، فالبصيرة تجعل الفضيلة سهلة، أي في كل مرة يقرر الإنسان استخدام بصيرته وتحديد الوسط بشكل صحيح يسهل عليه أكثر الفصل في المسألة في المرة القادمة.(ستيس، 1984، ص260)

"إذن إذا كان هذا كذلك، فإن كل فن يؤدي عمله جيداً عن طريق مراعاة الوسط، وإصدار الحكم على عمله بواسطة هذا المعيار، لذلك فإننا نقول غالباً عن الأعمال الفنية الجيدة: أنها لا يمكن أن نأخذ منها أو نضيف إليها شيئاً، قاصدين أن الإفراط والتفريط يدمر جودة الأعمال الفنية. بينما الوسط يحفظها".(طاليس، 1998، ك2، فـ6، ص77)

على هذا النحو إذن، نقف على ماهية الوسط الصحيح للفضائل، وذلك وفق الطابع العملي للتفكير الأرسطي الذي بموجبه نرى بأن هذا الوسط مختلف في كل حالة مختلفة، ومن تم تتعدد الفضائل بقدر ما في الحياة من ظروف.

كذلك يجب أن نعرف بأن أرسطو يقُرّ بأن ليس للشرور وهي أطراف متقابلة من حيث هي أطراف، طرف فمثلاً: ليس للإسراف أو الظلم من حيث هما إسراف أو ظلم، طرف، وإلا لكان لهذا الطرف طرف آخر، وهكذا الحال يستمر، وكان بين الطرفين وهما شران وسط وهو خير، وهذا عند أرسطو محال، فينتج عن ذلك أن الشر

شر قطعاً، وأن الأفعال الشريرة شريرة بحد ذاتها، لهذا كل الأفعال والانفعالات مثل: السرقة والقتل والحسد، ليس لها وسط.

"إلا أنه ليس كل فعل أو عاطفة يقبل الوسط. فبعضها يتصف بأسماء تشير إلي شرها مثلاً: الحقد، عدم الحياء، الحسد، وفي حالة الأفعال: الزنا، السرقة، القتل، فكل هذه الأشياء المشابهة تشير بأسمائها إلي أنها تشير بذاتها، وليس الإفراط أو التفريط فيها". *(طاليس، 1998، ك2، ف6، ص78)*

كما أن الفضيلة عند أرسطو لا توجد إلا باجتماع عقل وشهوة، لذي جاهد أرسطو في إبطال اللذة مع تأييده لبعض أنواعها، بكون الإنسان ليس عقلاً خالصاً ولا حساً محضاً، وإنما هو: (الإنسان صاحب العقل أو الروح أو الحس معاً) Man is not a pure intellect or mind and he is not a pure sense but man is both mind or soul and sense باعتبار أن الشهوات تمثل في الإنسان جانبه العضوي، والعمل على إبادتها إضرار بالطبيعة التي لا صلاح لها إلا بوجود العقل والشهوة . وبمعنى آخر، فالإنسان دائماً ما يحقق فعلاً؛ ومن تم فقد يحيا حياة مليئة بالآلام، ولكن هذه الآلام نفسها تنتهي بسعادة هي عينها السعادة في تحقيق هذا الفعل. فإذا كان كل فعل جالباً، في النشاط الذي يؤذي فيه، الآلام، فيجب ألا تعد هذه الآلام مضادة للاذ، بل ما دامت تحقيقاً لفعل، فهي جديرة إذن أن تسمى بلذة، وهي في هذه الحالة كالزهرة التي تأتي بعد تطور طويل. *(بدوي، 1980، ص258)*

إذن، الأهواء والشهوات، ما هي إلا هيولى عند أرسطو، والطبيعة والعقل صورتها، والصورة لا وجود لها بدون هيولى إلا في الطبيعة الإلهية فقط، بمعنى أن الطبيعة والعقل لا وجود لهما بدون الشهوات إلا في الذات الإلهية المنزهة عن كل شهوة.*(ستيس، 1984، 259)*، ومع هذا فالفضيلة لا تكون بالاسترسال مع الشهوة والانقياد لسلطانها مثل الحيوان، ولا تكون أيضاً بالعمل على استئصالها وإماتتها؛ وإنما تكون في إخضاعها لحكم العقل الذي من شأنه أن يحقق الاعتدال، بحسب نظرية الأوساط التي جعلت الفضيلة وسطاً بين إفراط وتفريط.

ثانياً/ الفضائل العقلية:

إذن، بعد أن عرفنا حقيقة الفضائل الأخلاقية عند أرسطو، وقيامها على التربية والتعود والمراس وفق ما ألت إليه العادة وما تطلبه من قدرات خاصة قائمة على ارتباطات بحالات الشخصية تدور حول مفهوم الاختيار والتقدير، الذي يتجلى مضمونه في سمو العقل القائم على اختيار الوسط بين الإفراط والتفريط، نبحث الآن في الفضائل العقلية التي تظهر ماهيتها واضحة عند أرسطو إلا من خلال تحقيقها لجوهر السعادة التي يستحيل أن يتم إدراكها بدون معرفة طبيعة النفس وقواها، وذلك بكون السعادة تُعدّ حالاً من أحوال النفس البشرية التي هي ليست العقل فحسب ـ أي بمعنى أن الإنسان العقل بوصفه موجوداً أرقى فإنه يحتوي في داخله على ملكات الموجودات الأدنى أيضاً، فهو مثل النبات غادي، ومثل الحيوان حساس، والانفعالات والشهوات جزء عضوي في طبيعته، ومن تم فلابد للإنسان ككل من وظيفة خاصة محددة تميزه عما عداه من النبات والحيوان، إذن، فإن هذه الوظيفة التي يختص بها الإنسان دون غيره من سائر المخلوقات، تكمن في وجود قوة الإدراك العقلي التي هي الوظيفة الأساسية الإنسان، وذلك بواسطة ممارسة السلوك طبقاً للعقل.

"فالحياة تبدو أنها عامة حتى بالنسبة للنبات، ولكننا نبحث عما هو خاص بالإنسان. لنترك إذن، حياة التغذي والنمو ـ ثانياً هناك حياة الإدراك الحسي، ولكنها تبدو أيضاً عامة حتى بالنسبة للحصان والثور، وكل الحيوان. بقي هناك إذن الحياة الفعالة للعنصر الذي يمتلك المبدأ العاقل".*(طاليس، 1998، ك1، ف7، ص55)*

إن الحياة العاقلة بهذا تكون تطابق تام لحياة الفضيلة، وبالتالي فإن خير الإنسان ووظيفته يكمن في مزاولة وتحقيق هذه الفضيلة، وذلك كما عرفنا من خلال تقسيمات النفس وقواها المختلفة إلي عاقلة وغير عاقلة، حيث ينقسم الجزء العاقل بحسب رأيه إلي قسمين: الجانب البرهاني الذي يدور موضوعه حول الكليات الثابتة التي لا تتغير، والجانب التقديري القائم على الجزئيات التي تتغير.*(قرني، ب ت ،ص315)*

ومن واقع النظرية القائمة على اعتبار أن فضيلة الشيء مشروطة بتأدية وظيفته المناسبة، فإن أرسطو يحاول أن يكشف أحسن الأحوال التي يمكن أن يكون عليها كل جزء من هذين الجزئين. حيث يرى إن للفضائل صلة بالاختيار أو الرغبة المبنية على التقدير. وللاختيار الصحيح شرطان: يتمثل الشرط الأول في الرغبة الصحيحة، وينحصر الشرط الثاني في الرأي الصادق. والرغبة الصحيحة تكون دائماً تحت سيطرة الرأي الصادق، بمعنى أنها تخضع لأوامره وتنقاد لتوجهاته، وذلك لكون أن الحقيقة العملية هي عبارة عن اتفاق الرغبة

مع الرأي الصحيح؛ حيث أنه إذا ارتفع الرأي أصبح الاختيار باطلاً، أما إذا ارتفعت الرغبة لم تتحرك النفس في طلب الغرض الذي يرتئيه العقل؛ بكون هذا العقل لا يحرك إلا عندما يثبت الغرض الذي يجب أن تطلبه القوة النزوعية التي هي القوة المحركة في النفس، أو يرفضه.*(فخري، 1999، ص122)*

" ولكن إذا كان المحسوس لذيذاً أو مؤلماً فإن النفس تطلبه أو تتجنبه بنوع من الإيجاب أو السلب، والشعور باللذة والألم هو التأثير بقوة الحس، كأنها متوسط أو متصل بالحسن أو القبيح من حيث هما كذلك. والهروب والنزوع إذن من أفعال القوة، وبمعنى آخر قوة النزوع وقوة الهروب لا تتميز إحداهما عن الأخرى، ولا تتميزان عن قوة الحس، ولو أن ماهيتهما مختلفتان. أما النفس الفكرية فإن الصور تحل فيها محل المحسوسات، فإذا أثبتت الحسن ونفت القبيح، هربت أو طلبت. ولهذا لا تعقل النفس أبداً دون الصور".*(طاليس، 2015، ك3، ف7، ص117)*

وعلى أية حال، إذا أتينا إلي مجالات الإثبات والرفض ودورها في مجمل الحياة العملية أو الخلقية، فإننا نجدها تقتصر على خمسة مجالات هي:*(كرم، 1966، ص196)*

1- الفن: الذي هو ينحصر في حالة عقلية لا تتجلى إلا بالقدرة على الصنع والإيجاد، وموضوعاته بالتالي تكون غير ضرورية، حيث أنها قد تكون وقد لا تكون.

2- المعرفة العلمية: تُعدّ ضرورية، وذلك على أساس أنها غير مستحدثة وغير زائلة.

3- الحكمة العملية: تنحصر في سمة التفكير النابع من التدبر والتحليل العقلي، والذي ينتهي إلي الاختيار. ومن تم فهي تختص بشيء جزئي يمكن عمله؛ والإنسان الذي يملك هذا النوع من الحكمة يكون قادراً على التدبير والتحليل لما هو خير في كل الظروف.

4- الحكمة الفلسفية: هي التي يضعها أرسطو موضوع التسامي والإجلال، وذلك على اعتبار أن الإنسان الذي يمتلك الحكمة العملية ليس هو أفضل المخلوقات، فهناك من هو أفضل منه، إنه من يدخل في إطار السماوات. الشيء الذي به تكون الحكمة الفلسفية التي يقصدها أرسطو متمثلة في المعرفة العلمية مضافاً إليها العقل الحدسي للأشياء السامية طبيعياً. ولكن يجب أن نعيّ هنا أن أرسطو أثناء مقارنته بين الاثنين أقصد: (الحكمة الفلسفية بالحكمة العملية) قد جعل الأولى أرقى من الثانية، رغم أنها- أي الحكمة الفلسفية- ليست هي السبب الكافي، لكنها السبب الضروري لتحصيل السعادة التي هي عنده هدف النشاط الإنساني .

كذلك فإن الحكمة العملية التي يقصدها أرسطو لا تستخدم الحكمة الفلسفية، بل تعمل على خدمتها وعلى وجودها، وذلك عن طريق إخضاع العواطف والشهوات إلي المبادئ الأخلاقية، إي أن الحكمة العملية تصدر الأوامر من أجلها فقط وليس لها.

"ولكننا نكرر أنها ليست متعالية على الحكمة الفلسفية، أي فوق القسم السامي منا، أكثر مما يكون فن الطب متعالياً فوق الصحة، ولذلك فهي لا تستعملها، ولكن تعمل على إيجادها، إذن تصدر الأوامر من أجلها وليس لها".*(طاليس، 1998، ك6، ف13، ص156)*

5- العقل الحدسي: هو الذي يدرك الهدف إذ أنه يُعدّ الأساس ونقطة البداية في الحكمة العملية، فجميع المعارف السابقة تعود في طبيعتها إلي المبادئ الأولية، رغم أنها تخلو من التحليل والبرهنة على هذه المبادئ بدون وجود العقل الحدسي.

إذن، على هذا النحو حدد أرسطو مفهوم الفضائل العقلية، التي تكتسب عنده بالتعليم وتنمو من جرائه، إنها ممارسة التأمل النظري الذي يتمثل عند الإنسان في العقل بوصفه غاية في ذاته، ومن تم يمثل أكبر نمو لوظيفة الإنسان التي يختص بها دون سائر المخلوقات الأخرى، تلك الوظيفة التي تتجسد في محاكاة الله عن طريق التفكير الخالص، وبهذا تصبح هذه الفضائل العقلية أسمى فضائل يستطيع الإنسان أن يصل إليها بكونها تمثل السعادة القصوى Rational virtue is the greatest virtue that man can reach, it is the greatest happiness التي يتجلى فيها الجانب الإلهي في الإنسان، فلا شيء ينسب إلي الله سوى التفكير الخالص.

"لذلك فإن نشاط الآلهة التي تفوق كل الأخرى في النعمة، يجب أن تكون بدرجة أكبر من طبيعة السعادة".*(طاليس، 1998، ك10، ف8، ص219)*

إن حياة الفضيلة العقلية هي أفضل وأحسن حياة يستطيع الإنسان أن يحياها، ومع هذا لا يستطيع الوصول إليها وبلوغها إلا عدد قليل من الناس، وحتى هؤلاء لا يستطيعون الوصول إليها إلا على فترات متقطعة، أما عامة الناس فهناك طريق للحياة الفاضلة خاصة بهم، إنه طريق الفضائل الأخلاقية التي كما عرفنا تُكتسب عن طريق التحكم العقلي في الجانب الانفعالي أو الشهواني عندهم، ومن تم تصبح فضائل عملية مادية تساعد هؤلاء الناس على ممارسة الفضائل العقلية (التأملية)، ليصبحوا مؤهلين لنيل الخير الأقصى الذي هو السعادة.

"بذلك القدر الذي يكون عليه التأمل، وإن أولئك الذين ينتمي إليهم التأمل كلية يكونون سعداً حقاً. لا عن طريق الاقتران، وإنما بفضل ممارسة التأمل، وهذا يكون ثميناً في ذاته. فالسعادة إذن يجب أن تكون شكلاً معيناً من التأمل ولكن نظراً لكونه بشراً فإن المرء في حاجة إلي الازدهار الخارجي، لذلك فطبيعتنا ليست مكتفية ذاتياً لتحقيق هدف التأمل، ولكن أجسادنا أيضاً يجب أن تكون صحيحة ".*(طاليس، 1998، ك10، ف8، ص220)*

هذه هي إذن، الفضائل العقلية التي يقصدها أرسطو، فهي التي تنتهي بصاحبها إلي لذة السعادة، بمعنى أنها ـ أي اللذة ـ تكون الثمرة الطبيعية لممارسة السعادة، حيث أن طلب إنسان اللذة مظهر من مظاهر طلبه للحياة التي هي كمال أو فعل. فكل واحد فينا دائماً ما يلتذ بممارسة أحب قواه إليه، ولهذا كانت اللذة هي استكمال العضو الأفضل، عند ملاقاة الموضوع الأفضل، أو هي: تحصيل الكمال الممكن بالنسبة إلي الكائن، أو إدراك الملائم بما هو ملائم. واللذة والحياة مرتبطتان أشد الارتباط، ومن غير الممكن الفصل بينهما إلا في الذهن فقط؛ فلا وجود لهذه اللذة من غير ممارسة الوظائف الحيوية التي تصل إلي غاية كمالها أثناء ممارسة التأمل الذي يمثل قمة الفضائل العقلية.

إن خير كل موجود يقوم في أن يدرك نشاطه درجة الكمال، وعلى هذا، وكما يشرح أرسطو، فإن خير الإنسان يقوم في وصول نشاطه الذي يختص به إلي كماله، وهذا النشاط الذي يختص به الإنسان هو نشاط العقل، ونشاط هذا العقل المتضمن مع وظيفته هو الفضيلة، ومن تم تكون سعادة الإنسان من حيث هو إنسان متمثلة في الفضيلة.*(قرني، ب ت، ص315)*

"نشاط الحكمة الفلسفية هو ألذ الأنشطة الفاضلة، وفي كل الظروف فإن السعي وراءه يعتقد بأنه يعطي لذات رائعة لنقائها واستمراريتها".*(طاليس، 1998، ك10، ف7، ص215)*

هكذا ينتهي أرسطو إلي القول بأن اللذة هي الثمرة الطبيعية لاستكمال القوى الحيوية في الإنسان وممارستها على وجهها الأكمل. وذلك على اعتبارها شرطاً من شروط السعادة الحقة. فالحياة عنده والتي تخلو من جميع أشكال اللذة يستحيل أن يكون صاحبها سعيداً أصلاً.

ثالثاً/ الفضائل الكبرى:

عند تناولنا للفضائل الكبرى عند أرسطو نراه حريص على أن يضع نسق تحليلي يشمل الفضائل: الأخلاقية، والعقلية، وخاصة تلك التي يعتبرها من أمهات الفضائل (الشجاعة، والعفة، والكرم، والصداقة، والعدالة)، حيث يقُرّ على أن فضيلة الشجاعة تتجلى في مفهوم العدالة التي تنص على أنه من العدل أن يؤدي الإنسان كذا، ومن الخزي ألا يؤدي كذا، وذلك لكون هذه الشجاعة وسطاً بالنسبة للأشياء التي تثير الثقة والخوف. إذ أنها شجاعة الألم بخلاف مشاعر الثقة والخوف عند الأشخاص، فالإنسان الذي يتمالك نفسه عند خوفه من الأخطار يكون شجاعاً وبذلك فهو يواجه كل ما هو مؤلم. وذلك كما هو حال شجاعة الجنود، وشجاعة الجرأة الناجمة عن طول الخبرة في أي فن من الفنون، وأيضاً شجاعة الغضب الذي يدفع صاحبه بالثورة لكرامته، وشجاعة الحماسة الفطرية التي تدفع صاحبها على اقتحام المخاطر بجرأة. *(فخري، 1999، ص118)*

كما يقول أيضاً بأن فضيلة العفة (الاعتدال) التي تقودنا بالضرورة إلي الحديث عن اللذات، لا تختص إلا بالذات الجسدية أو الحسية فقط ، بكون صاحب اللذات العقلية لا يطلق عليه منغمساً فيها مهما زاد في طلبها ولا هو مقصراً مهما ابتعد عنها. كما أنها لا تشمل اللذات الجسدية مثل البصر والسمع، وذلك بكون أن الإنسان الذي يستمتع بمنظر معين، أو يستمع إلي صوت يحبه لا نقول عليه أمعتدل أو منغمس. فهذا النوع من اللذات الجسدية لا يعتبر موضعاً للإفراط والتفريط. والإنسان المعتدل الذي لا يجد لذة في الملاذ التي يطلبها الشهواني ولا في اللذات العامة وإنما يأخذ لذاته بقدر بحسب القاعدة الصحيحة التي هي ليست إفراطاً أو تفريطاً، وبالتالي لا تصطدم بنبيل المقاصد التي هي لذة الفضيلة The pleasure of virtue.*(بدوي،1980، ص257 - 258)*

وبحث أرسطو أيضاً في فضيلة الكرم (السخاء) التي لا تتعلق بفضيلة الشجاعة، ولا بفضيلة الاعتدال، بل إنها الفضيلة المتصلة بالثروة بكونها تمثل عنده وسط بين طرفين: (الإسراف والتقتير) اللذان يكونان إفراطاً وتفريطاً بالنسبة للثروة .. إنها فضيلة الكرم والسخاء الأرسطي الذي يتمثل في الشخص الذي يمتلك الفضيلة المتصلة بالثروة والتي هي كما رأينا وسط بين الإسراف والتقتير، ومن تم فهو الشخص الغني المفيد الذي يقوم بفعل الإنفاق والعطاء اللذان هما من استعمالات الثروة، وذلك على الأفراد المناسبين، وهو يقوم بهذا الفعل أكثر من قيامه بفعل الأخذ والاحتفاظ اللذين هما امتلاك الثروة.

إنه يعطي ما أعطاه برحابة صدر وممنونيّة دون تملق ومعاناة، فلا يطلق على من يعطي بألم اسم الإنسان السخي، وذلك لكونه قد أعطى ما أعطى وكله حسره وألم، بعيداً عن الشرف والفضيلة. إنه الإنسان السخي الذي يتجاوز في عطائه حد الإفراط ولا يهتم بنفسه ومن تم فهو نبيل بكونه لا يقيم الثروة لذاتها وإنما هي عنده وسيلة يهدف بها إلي فعل العطاء بفخامة في الأشياء العظيمة، وبالمقدار المُنفق بطيب خاطر، بعكس ذلك الإنسان السخي الذي يكتفي بأن يكون سخي فحسب، وذلك من خلال إنفاقه على الأشياء الصغيرة والبسيطة، ولو امتنع على ذلك فإنه يصف بالشح والبخل.*(طاليس، 1998، ك2، ف2، ص113)*

وكذلك أيضاً فضيلة الصداقة التي جعلها أرسطو سبب استمرار الحياة الإنسانية، Human life بكونها تتجسد فيها السعادة التي هي النشاط الظاهر في الوجود عن طريق العمل، الذي لا يتم إلا بواسطة الأفراد، ومن أجل الأفراد الذين يجب أن يكونوا أصدقاء لا غرباء.

إنها الصدقة التي ينشدها أرسطو والتي هي ضرورية للإنسان الفقير ، والإنسان الكبير في السن، والشاب، والآباء نحو أبنائهم، والأبناء نحو آبائهم، والدول بعضها مع بعض، بل جُل المخلوقات الحية على مختلف أنواعها. فكل هؤلاء دائماً ما يحتاجون إلي معونة بعضهم لبعض... إنها الصدقة الأرسطية التي تتفوق على العدالة، على اعتبارها تغني عن وجود العدالة التي لا وجود لها بدون الصداقة؛ فعندما تكون العدالة في أبها صورها تظهر الصداقة واضحة لدى الإنسانية في الشخصية والشعور، معلنة عن ميلاد الحب الذي ينطبق على الصداقات الحيوية بكونها: "خيّرة، ولذيذة، ونافعة".*(كرم، 1966، ص 198 - 199 + بدوي، 1980، ص262 - 263)*

ثم يذهب أرسطو كذلك إلي بيان فضيلة العدالة Virtue of justice التي هي عنده تتضح معالمها من خلال نقيضها التقليدي الذي هو الظلم الذي هو الخروج والمروق عن القانون، من باب الجشع والإجحاف، ومن تم تكون العدالة متحققة في طيات هذا القانون، الذي به تصبح عدالة قانونية من خلال الكمال الذي يتجلى في كونها فضيلة كاملة، تتعدّى ممارستها الفرد لتصل إلي خير أقرانه أيضاً؛ فهي ليست جزء من الفضيلة لكونها صادرة عن المشرع الذي يشرع لكل الفضائل الأخرى الناتجة عن القوانين العادلة التي هي خير الآخرين. أما كونها جزء من الفضيلة فبحكم أنها تقابل الظلم الذي هو الجشع المتمثل في الإنسان الذي يستأثر بما ليس له ومن تم يخرج على كونه إنساناً عادلاً، ولكن ليس كما هو الحال في الخروج عن القانون، الذي هو العدالة بكونها فضيلة كاملة، وإنما هو جشع الإنسان المدفع بحب شديد للمال أو الجاه على اعتبار أنهما الخير الحقيقي بالنسبة له، تحفزه في ذلك اللذة التي تصدر عن الربح.*(فخري، 1999، ص120)*

كذلك وبالإضافة إلي هذا المعنى الواسع للعدالة عند أرسطو نراه يقول بعدالة أخرى فردية تشترك مع الأول في الاسم والطبيعة لأن تعريفه يقع تحت نفس الجنس: حيث أن معنى كليهما يكمن في علاقة الفرد مع جاره، إلا أن احدهما يتعلق بالشرف أو المال أو السلامة، وأن الدافع لها هو اللذة التي تنشأ من الكسب، في حين يتعلق الثاني بكل الأشياء التي يختص بها الإنسان الخيّر.

إذن، فالعدالة بهذا المعنى الأرسطي الخاص تتفرع إلي فرعين اثنين، يدور الأول: حول عدالة القسط في توزيع المال والجاه، أما الفرع الثاني: فهو إعطاء ذا الحق المغتصب حقه، وذلك فيما يخص المعاملات الثنائية: كالتجارة أو المقايضة أو الاختلاس. وينقسم النوع الثاني من حيث التبادل إلي قسمين: الأول إرادي يختص بالمعاملات التجارية مثل البيع، والشراء، والاقتراض بجل أنواعه. ويكون طرفي الفعل فيه راضيين بالمساواة التي جرت من وراء هذا الفعل. والقسم الآخر لا إداري، وينقسم بدوره إلي قسمين: ما يقع من فاعله إجباراً، كأن يقوم بفعل السرقة، أو الزنا، أو شهادة الزور فيقع به فريسة ضغوطات معينة دفعته إلي ارتكاب هذه الحماقات. والقسم الآخر هو ما يقع على الشخص بالقوة، كالتسلط، والسجن، والقتل، والاستغلال، والإهانة.*(طاليس، 1998، ك5، ف4، ص128 + كرم 1966، ص195)*

بهذه الطريقة حدد أرسطو نقيض العدالة المتمثل في الإنسان الظالم وفعل الظلم لكونهما غير منصفين، وغير متساويين، وذلك حتى يتسنى له تحديد الإنسان العادل (المساوي) الذي هو موجود أما في الفعل الذي يشتمل على الأكثر أو الأقل ،وهذا ما هو معروف بين الناس، بمعنى إنه إذا كان الظالم غير مساوياً فالعادل مساوياً. أو هو وسطاً ومساوياً في وقت واحد، أو نسبياً لأشخاص معينين؛ فإذا كان وسطاً يجب أن يكون بين أشياء معينة كتلك التي تكون أعظم وأقل نسبياً؛ وإذا كان مساوياً74 يجب أن يتضمن شيئين اثنين، وإذا كان عادلاً فهو عند بعض الأشخاص فقط، وبهذا يُعرف العادل من أربعة مواضيع: اثنان تخص الأشخاص الذين يتعلق بهما العدل، واثنان تخص الأشياء التي يبرز فيها العدل.

هذا هو العدل الأرسطي الذي يكون نوع من التناسب يدل على علامة من الأعداد العامة وليس صفة خاصة بالأرقام، بعكس الظلم الذي هو بعيد كل البعد عن هذا التناسب.

الخاتمة:

تتضمن خاتمة البحث جملة من النتائج نوردها كالتالي:

1- اكتساب الإنسان للفضائل الأخلاقية يكون عن طريق العادة والممارسة العملية، وامتلكه قدرات خاصة.

2- الفضيلة عند أرسطو مرتبطة أشد الارتباط بحالات الشخصية (أحوال الهيئة) التي هي وحدها تُعبر عن الاختيار بكون الفضيلة ملكة اختيار صاعد عن الإرادة صادر عن معرفة ونزوع، تقوم في وسط بين رذيلتين.

3- الفضائل تتحقق عند أرسطو عندما يستشف الإنسان من بين الحلول الممكنة ما هو أفضلها وأشملها على أعظم الخيرات. وذلك وفق معيار لا إفراط ولا تفريط اللذان كلهما رذيلة.

4- إن نظرية الوسط التي قال بها أرسطو عند تحديده لمفهوم الفضيلة، هي نظرية اعتبارية لا رياضية، حتى مع غض النظر عن الشخص وظروفه.

5- لا يمكن أن توجد الفضيلة التي ينشدها أرسطو إلا باجتماع عقل وشهوة، ومن تم لا يجب الإسراف في طلب الشهوة، ولا يجب أيضاً منعها وإماتتها. وإنما إخضاعها لحكم العقل الذي به يتحقق الاعتدال.

6- الفضائل العقلية تُكتسب بالتعليم الذي به تتحقق السعادة في ممارسة التأمل عن طريق العقل.

7- إن حياة الفضائل العقلية عند أرسطو تمثل أفضل وأحسن حياة يستطيع الإنسان أن يحياها من بين القليل من عامة الناس، الذين لهم حياتهم الفاضلة الخاصة بهم، والمتمثلة في ممارستهم للفضائل الأخلاقية التي تُكتسب عن طريق تحكم العقل في الجانب الانفعالي أو الشهواني عندهم، ومن تم تصبح فضائلهم الأخلاقية هذه، فضائل عملية مادية تساعدهم فيما بعد على ممارسة الفضائل العقلية.

8- إن اللذة لدى أرسطو هي الثمرة الطبيعية لاكتساب القوى الحيوية في الإنسان، وممارستها على وجهها الأكمل. وذلك على اعتبارها شرط من شروط السعادة الحقة. فالحياة التي تخلو من جميع أشكال اللذة يستحيل أن يكون صاحبها سعيداً.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً / المصادر:

1- الأخلاق النيقوماخية (1998) ، ترجمة وتقديم: أبوبكر أبراهيم التلوع ، منشورات جامعة الجبل الغربي ـ ليبيا ، ط 1 .

2- كتاب النفس، لأرسطو، طاليس (2015) ، ترجمة : أحمد فؤاد الأهواني ، مراجعة : جورج شحاتة قنواتي ، تقديم وتقدير: مصطفى حسين النشار ، المركز القومي للترجمة ، سلسلة ميراث للترجمة ، ، طُبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ط 1

ثانياً / المراجع :

1- بدوي، عبد الرحمن (1980)، *أرسطو*، الناشر: وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت، ط2 .

2- كرم، يوسف (1966)، *تاريخ الفلسفة اليونانية*، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ملتزم التوزيع: مكتبة النهضة المصرية، ط 5.

3- ستسي، وولتر (1984)، *تاريخ الفلسفة اليونانية*، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع ب ط.

4- فخري، ماجد (1999)، *أرسطو طاليس*، دار المشرق ش. م. م ، بيروت ـ لبنات، التوزيع المكتبة الشرقية، ط4.

5- قرني، عزت (ب ت)، *الفلسفة اليونانية*، ملتزم التوزيع: مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، ب ط